صفات الأصوات العامة

(الأصوات الصامتة والصائتة)

توصف الأصوات في حالة النطق بصفات منها: الجهر والهمس، والشدة (الانفجارية) والرخاوة (الاحتكاكية) والإطباق والانفتاح وغير ذلك.

أولاً - الجهر والهمس :

- الجهر: هو تذبذب الوترين الصوتيين خلال النطق بصوت معين، ويسمي الصوت مجهوراً **Sonora** أو **Voiced** [1].

- الهمس: هو عدم تذبذب الوترين خلال النطق بصوت يوصف بأنه مهموس **Soured** أو **Unvoiced** [2].

ونستطيع أن نتبين الفرق بين الحالتين لنتبين المهموس والمجهور من أصوات اللغة، فنضع أيدينا خلال النطق بالصوت (أو الحرف) على مقدم الرقبة، أو على الجبهة، أو على الصدر أو الأذنين، فهذه المناطق يتردد فيها صوت الرنين، وعند حدوث ذبذبة خلال النطق تحدث تأثيرها في هذه المواضع، ويحس من يلمسها بالاهتزاز نتيجة اهتزاز الوترين الصوتيين إذا كان الصوت مجهوراً، فإن لم يجد اهتزازاً أو رنيناً كان الصوت مهموساً.

ومثال هذا مد صوت السين خلال النطق، ومد صوت الزاي في النطق، تجد رنيناً في الزاي له صدي في الأذن أو الجبهة أو الصدر، ولا تجد هذا الرنين أو صدي له خلال نطق السين، وتوجد بالعربية الفصحى ثلاث عشرة وحدة صوتية مهموسة هي : ء ، ت، ث ، ح ، خ ، س ، ش ، ص، ط ، ف ، ق ، ك ، هـ ، وقد جمعتها فى قولى: "أتحث كطه شخصاً فسق"، وفيها خمس عشرة وحدة صوتية مجهورة وهي: ب ، ج ، د ، ذ ، ر ، ز ، ض ، ظ ، ع،

---

(١) قال سيبويه: " فالمجهور: حرف أشبع الاعتماد عليه فى موضعه ومنع النفس أن يجرى معه ينقضى الاعتماد عليه ويجرى الصوت، فهذا حال المجهور فى الحلق والفم..." وهذا تصوير دقيق للاهتزاز الوترين دون ذكر للوترين لعدم علمه بهما فى الحنجرة. الكتاب جـ ٤/٤٣٤.

(٢) المهموس عند سيبويه – صوت أضعف الاعتماد فى موضعه حتى جرى النفس معه – الكتاب جـ ٤/٤٣٤.

obeikandl.com

غ ، ل ، م ، ن ، و ، ى[1]. بالإضافة إلى الصوائت الثلاثة (حركات المد: الألف، الواو، الياء)، واختلف القدماء مع المحدثين فى الهمزة والطاء والقاف فهى مجهورة عند سيبويه ولكن الدراسات الحديثة أثبتت أنها مهموسة[2].

ويوجد للصوت المهموس نظير مجهور مثل: ت : د ، ث : ذ ، ح : ع ، خ : غ ، س : ز ، ط: ض. وهذا ليس مطرداً في الأصوات العربية لوجود بعض الأصوات المهموسة التي ليس لها نظير مجهور مثل: الهمزة ، والشين ، والصاد ، والفاء ، والقاف ، والكاف ، والهاء ، وجميعها مهموسة. وكذلك توجد بعض الأصوات المجهورة التي ليس لها نظير مهموس، وهي: الباء ، والجيم ، والراء ، واللام ، والميم ، والنون ، والواو، والياء ، والظاء ، وجميعها مجهورة[3].

ويطلق على الأصوات التي تشترك في معظم الصفات الصوتية، وتختلف في واحدة منها اسم الثنائيات الصغرى **Minimal pairs** .

ويمكن التفريق بين هذه الأصوات المتشابهة عن طريق الجهر والهمس ومثال هذا السين والزاي، صوت السين (في كلمة سور)، وصوت الزاي في كلمة زاد، نلاحظ عدم حدوث ذبذبات في الحنجرة في حالة نطق السين، بينما تحدث ذبذبات في حالة نطق الزاي، فالأول (س) مهموس والثاني (ز) صوت مجهور، وهما صوتان أسنانيان لثويان، والفرق بينهما في الجهر والهمس. ومثال هذا أيضاً: صوت (ث) وصوت (ذ) صوتان احتكاكيان (لا يحبس النفس أثناء نطقها)، صوت الثاء مهموس، وصوت الذال مجهور، والصوتان أسنانيان أي من مخرج واحد. فهما أيضاً من الثنائيات الصغرى.

والصوتان التاء (ت) والدال (د) من الثنائيات الصغرى، لأن الاختلاف بينهما ينحصر في صفة واحدة هي الجهر في مقابل الهمس، فالتاء مهموسة والدال مجهورة.. ولو أعطينا صفة الجهر للأصوات المهموسة التي تقع ضمن الثنائيات الصغرى لتحول الصوت المهموس إلى الصوت المجهور الذي يدخل معه في الثنائية الصغرى.

---

(١) علم الأصوات، برتيل ص ١٠٩ ، ١٠١.

(٢) الكتاب، سيبويه جـ ٤/٤٣٤.

(٣) علم الأصوات، برتيل ص ١١ ، ١١٢.

فلو أجهر صوت (التاء) لأصبح (دالاً). ت ← د

ولو أجهر صوت (الثاء) لأصبح (ذالاً). ث ← ذ

ولو أجهر صوت (السين) لأصبح (زياً). س ← ز

ومثل هذا في الإنجليزية صوت (b) الخفيفة، مجهور، وصوت (p) الثقيلة، مهموس، إذا أجهر صوت (p) تحول إلى صوت (b)، ومثل هذا أيضاً صوت (F) مهموس، يقابله صوت (v) مجهور، وإذا أجهر صوت (F) أصبح في النطق مثل (v)[1] . وقد يكون الصوتان من مخرج واحد، ولكن ليس بينهما تقابل في الجهر والهمس، فصوت الباء، وصوت الميم مخرجهما واحد، وهو الشفتان، ولكن ليس بينهما تقابل في الجهر والهمس، لأن كليهما مجهوران.

وقد لا يوجد للصوت ما يقابله مثل صوت الباء صوت مجهور، ليس له في العربية صوت مهموس يقابله، مثل الإنجليزية التي يقابل فيها صوت (b) المجهور صوت (p) المهموس. وكذلك ليس لصوت الفاء المهموس مقابل مجهور في العربية خلافاً للإنجليزية يوجد فيها صوت (F) المهموس يقابل صوت (v) المجهور[2].

ثانياً - الشدة والرخاوة :

الشدة : هي خروج الصوت فجأة في صورة انفجار للهواء عقب احتباسه عند المخرج، كما في نطق الباء، والتاء، والدال. وهو عند القدماء حبس تيار الهواء، فيمنع الصوت أن يجرى فيه[3].

والرخاوة أو الاحتكاكية: هي خروج الصوت مستمراً في صورة تسرب للهواء،محتكاً بالمخرج، كما في نطق الثاء، والحاء، والزاي، وهى عند القدماء: أصوات أجرى فيها النفس

---

(١) الأصوات والنظام الصوتي (علم اللغة) ص٧٢، والصوتان: (طـ) و (ض) من الثنائيات الصغرى، ويختلفان في الجهر والهمس، فصوت الطاء مهموس، وصوت الضاد مجهور.

(٢) الأصوات والنظام الصوتي (علم اللغة) دكتور بدوي ص٧٣. يلاحظ أن صوتي الضاد والطاء يشتركان في معظم الصفات، ويفترقان في الجهر والهمس، فصوت الضاد مطبق انفجاري، وصوت الطاء مطبق انفجاري، ولكن الضاد مجهورة، والطاء مهموسة.

(٣) الكتاب جـ ٤/٤٣٤، والأصوات الشديدة عند سيبويه: ء ، ق ، ك ، ج ، ط ، ت ، د ، ب.

وخرج معه الصوت دون تفجر[1].

وقد وضع سيبويه الضاد فى الأصوات الرخوة، وهى صفة تخالف نطقنا لها فهى شديد فى خطابنا، ولكن الضاد التى وصفها سيبويه بأنها من أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس، ووصف الضاد الضعيفة بأنها من جانبية من حافة اللسان، وليس فيهما منع النفس[2].

ويطلق أيضاً على النوع الأول الأصوات الانفجارية المنفوسة **Aspirate**، ويطلق على النوع الثاني الأصوات غير المنفوسة **Unsprayed Stops**. ويمكنك اختبار نوع الصوت عملياً بوضع وريقة (تصغير ورقة) في كفك، وقربها من فمك ثم انطق بكلمة "تكلم"، فسوف تلاحظ أن الوريقة تحركت قليلاً بسبب نفخة الهواء التي صاحبت نطق صوت الكاف في تكلم وتوصف كذلك الأصوات من ناحية القوة بأنها شديدة انفجارية أو احتكاكية مهموسة، ويعتمد هذا الوصف على معرفة مخرج الصوت، وكيف يسمع الصوت أو كيف ينطق. أي ملاحظة أدائه صوتياً ووضوحه فى النطق. ويسمع حين النطق بهذه الأصوات انفجار خفيف ناتج عن اندفاع الهواء المنحبس خلف مخرج الصوت، ومثل: (ح ، ث ، ص) لا يسمع في أدائها انفجاراً؛ لأن الهواء لا يحجزه عضو من أعضاء النطق أثناء نطقها حجزاً تاماً.

وتختلف نسبة الوضوح السمعي للصوت تبعاً لاختلاف المجري الذي يسلكه الهواء الخارج عبر التجويف الفموي عن نطق الصوت، فقد يحبس الهواء حبساً كاملاً، وقد يمر دون عائق، ويلاحظ هذا في نطق صوت الهمزة يحبس الهواء في الحنجرة بعد أن أغلقت فتحة المزمار بفعل الوترين الصوتيين، ويحبس الهواء في نطق الكاف عند التقاء مؤخر اللسان بالطبق، وحين ينفرج هذا الالتقاء يسمح صوت شبيه بالانفجار، ولكن تنطق الشين بلا انفجار؛ لأن الهواء لا يحبس في نطقها، ويطلق على الصوت الذي يحبس فيه الهواء ثم يطلق صوت انفجاري، ويطلق على الصوت الذي يمر فيه الهواء دون حبس صوت احتكاكي، لأنه يحتك بعضو

---

(١) الكتاب جـ ٤/٤٣٤، ٤٣٥، والأصوات الرخوة: هـ، ح ، غ ، ش ، ص ، ض ، ز ، س ، ث ، ذ ، ف.

(٢) الكتاب جـ ٤/٤٣٢ الضاد القديمة تخرج من الشدق وهى مطبقة، فهى تشبه الظاء فى تسرب الهواء من جانب الأضراس مثل اللام وليس لها هذا النطق فى الخطاب المعاصر، وقد وصف سيبويه الضاد التى سمعها من بعض الأعراب. والضاد عند الخليل شجرية (من مفرق الفم)، العين جـ ١/٥٨.

النطق المختص به فقط دون حبس الهواء عنده. ومجري الهواء يأخذ أوضاعاً مختلفة أثناء النطق بالأصوات الاحتكاكية، فهو يضيق ويتسع بدرجات متفاوتة، فيسمع للصوت احتكاك أشبه بالحفيف مرة وبالصفير مرة أخري، ويتبين هذا من نطق أصوات الحاء والسين والهاء والشين، والصاد، وهي أصوات احتكاكية يسمح بمرور الهواء خلال نطقها، فالأصوات الصامتة الاحتكاكية لا يتم فيها إغلاق مجري النفس كاملاً في نقطة من التجويف الفموي، فالصوت الاحتكاكي ينطق بتضييق مجري الهواء في نقطة من التجويف الفموي، وتختلف هذه المسافة التي وقع بها التضييق باختلاف الصوت، فمجري الهواء يتكيف مع الصوت، فيخرج بالصفة التي ننطقه بها[1]. فمنع الهواء من المرور بالتقاء العضو الصوتي المتحرك بالعضو الثابت ينتج عنه صوت انفجاري، ومرور الهواء حراً طليقاً أو تعديل مروره دون حبسه حبساً كاملاً ينتج عنه صوت احتكاكي[2].

وإذا أردنا وصف صوت ذكرنا موضع نطقه من الجهاز الصوتي، ثم ذكرنا كيفية أدائه صوتياً أو نسبة وضوحه في السمع، فصوت الباء: صوت شفتاني انفجاري، وصوت الفاء شفهي أسناني (الشفة السفلي والأسنان العليا) احتكاكي، وصوت الكاف: قصي طبقي (مؤخر اللسان والطبق) انفجاري. وصوت السين ذلقي لثوي (ذلق اللسان واللثة) احتكاكي. والذال: أسناني أو بين أسناني (ذلق اللسان والأسنان العليا والسفلي) احتكاكي.

ثالثاً - الإطباق والانفتاح :

الأصوات المطبقة هي: الصاد ، والضاد ، والطاء ، والظاء والأصوات المنفتحة: هي كل ما سوى ذلك من الأصوات؛ لأنك لا تطبق لشيء منها لسانك، بل ترفعه إلى الحنك

---

(١) ارجع إلى: علم اللغة، دكتور كمال بدوي ص ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣. وقد يتأثر الصوت بما جاوره من أصوات، فيحدث هذا التأثير تغييراً في المخرج والصفة، فالأصوات الشديدة تتأثر بالأصوات المهموسة، والعكس قد يحدث.

(٢) ارجع إلى: علم اللغة الدكتور كمال بدوي ص ٥٣ ، ٥٤ ويطلق على الانفجارات مصطلح الوقفات Stops ويشير إلى قفل مجري الصوت قفلاً كاملاً أو غلقه تماماً، ويطلق على مصطلح الاحتكاكات مصطلح الاستمراريات Continuants وهو عدم غلق مجري النفس بل يسمح بمرور النفس في حدود نطق الصوت، فمجري الهواء يضيق، ويتسع باختلاف الطبيعة النطقية للصوت الاحتكاكي، فمجري الهواء يتكييف مع نطق الصوت.

الأعلى[1].

فإن لسانك المنقعر الذي أخذ شكلاً طبقياً (يشبه الطبق) ينطبق إلى ما حاذى الحنك الأعلى من اللسان في حالة النطق بصوت من الأصوات الأربعة المطبقة (ص ، ض ، ط ، ظ) التي تحصر في نطقها بين اللسان والحنك، ولولا هذا الوضع في النطق (وهو التقعر في اللسان) لا نقلب كل صوت منها إلى ما يناظره من الأصوات غير المطبقة: ص : س ، ط : ت ، ض : د ، ظ : ذ.

والإطباق له معنيان عند علماء الأصوات:

المعنى الأول: جذب المخرج الغارى في اتجاه الطبق، وهو بهذا يعد عملية عكسية للتغوير، كما يحدث للجيم والشين عند مجاورتهما ضمة (جُملة – شُعبة) وكما يحدث للكسرة حين تجاور صوتاً طبقياً أو مطبقاً (ضد – طب).

والمعنى الثاني: ارتفاع مؤخرة اللسان إلى أعلى قليلاً في اتجاه الطبق وتحركه إلى الخلف قليلاً في اتجاه الحائط الخلفي للحلق، وتصحب هذه العملية في اللغة العربية نطق الصاد والضاد والطاء والظاء التي لها مقابلات غير مطبقة، وهي السين، والدال، والتاء، والذال.

وبعض العلماء يسمى ظاهرة الإطباق **Valorization** بظاهرة التحليق **Pharyngalization**، وذلك لأن حركة اللسان التي تصاحبها ترتفع إلى أعلى قليلاً[2].

ولقد عرفت العربية مجموعة من الأصوات يظهر أثرها في السمع مفخماً وبعضها يسمع مرققاً، فنحن ننطق صوت الطاء، ونحس أنه أغلظ من نظيره (التاء) فنصف الطاء بالتفخيم، ونصف التاء بالترقيق.

والتفخيم ناشئ عن وضع عضوي ينطبق فيه اللسان على الحنك الأعلى آخذاً شكلاً مقعراً، فتكون النقطة الأمامية من اللسان هي مخرج الصامت المرقق (مثل: التاء)، وتكون النقطة الخلفية مصدر التفخيم في حالة الإطباق، (مثل: الطاء، والظاء، والصاد، والضاد)، وهي الأصوات الطبقية في العربية.

---

(١) كتاب سيبويه جـ ٤ / ٤٣٦.

(٢) دراسة الصوت اللغوي. ص ٣٢٦.

فصوت الصاد يتحقق بوضع اللسان في جزئه الأمامي موضع السين، ثم يرتفع جزؤه الخلفي، ليأخذ اللسان شكلاً مقعراً، فتكون الصاد .

وصوت الطاء يبدأ من نقطة التاء، ثم يطبق اللسان بشكله المقعر على الحنك الأعلى لتكون الطاء[1].

وصوت الظاء: يبدأ من بين الأسنان حيث يكون مخرج الذال، ثم يتقعر اللسان مرتفعاً إلى الحنك الأعلى لتكون الظاء.

وصوت الضاد: يبدأ من مخرج الدال، ويأخذ اللسان شكله المقعر مطبقاً على الحنك الأعلى لتكون الضاد، وتشترك الضاد المعاصرة مع القديمة فى التفخيم، ولكن المحدثين يخرجون الضاد من مخرج الدال غير أن الأخيرة مرققة، والقدماء يرون أن الضاد من الشدق الأيمن أو الأيسر أو منهما معاً فهى جانبية من حافة اللسان ورخوة[2]، ويتحقق بهذا أربعة أزواج من الأصوات، في اللغة العربية المعاصرة، وهي :

١- س (مرقق) يقابل الصاد (مفخم).

٢- ت (مرقق) يقابل الطاء (مفخم).

٣- د (مرقق) يقابل الضاد (مفخم).

٤- ذ (مرقق) يقابل الظاء (مفخم).

ويرى بعض العلماء أن العربية القديمة لم يكن بها سوى ثلاثة أزواج فقط منها، وهي: س: ص / ذ : ظ / د : ط. فلم يكن لصوت الضاد المطبق صوت مقابل مرقق؛ لأن صوت الضاد القديم، أو كما وصفة القدماء يختلف عن صوت الضاد المعاصر، فالصوت القديم كان رخواً، والصوت المعاصر شديداً. والقديم كان جانبياً ينطق من أحد الشدقين، والصوت المعاصر أمامي (أسناني لِثوي)، فصوت الضاد القديم يشبه الظاء، أو يلتبس بها في نطق بعض المناطق بالجزيرة العربية والعراق، لأنه قريب في كثير من الوجوه منه.

---

(١) علم الأصوات ص ١١٥.

(٢) العين جـ ١/٥٨، وكتاب سيبويه جـ ٤/٤٣٤ ، ٤٣٥، والمقتضب للمبرد جـ ١/٣٢٦، وسر صناعة الإعراب جـ ١/٥٢.

لقد تبين لنا أن الضاد حسَب نطقنا لها الآن تعد المقابل المفخم للدال، أي أنها صوت شديد مجهور مفخم، ينطق بنفس الطريقة التي تنطق بها الدال، مع فارق واحد هو ارتفاع مؤخرة اللسان نحو الطبق في النطق بصوت الضاد، وعلى هذا، فالضاد هي المقابل المطبق للذال، وتوهم بعض الباحثين أن الضاد الفصيحة التى قرأ بها القراء القرآن الكريم، تخالف ضاداً قديمة تختلف عن الضاد القرآنية، فردوا القراءة بها مخالفين القراءة المتواترة، والقراءة سنة متبعة، والضاد المخالفة للقراءة وقعت فى لهجات العرب فوصفها القدماء فتوهم المحدثون أن الضاد القرآنية تطور لها، فجّوزوا القراءة بها، والضاد القرآنية لم يقع فيها اختلاف لتواتر القراءة بها، ولم يختلف القدماء فيها بل اختلفوا فى وصف نطق العرب لهذا الصوت.

بيد أننا إذا نظرنا إلى وصف القدماء لها من النحويين واللغويين وعلماء القراءات، عرفنا أن الضاد القديمة التى وقعت فى لهجات العرب تختلف عن الضاد التي ننطقها الآن في أمرين جوهريين :

* أولهما – أن الضاد القديمة ليس مخرجها الأسنان، واللّثة، بل حافة اللسان أو جانبه من منطقة الشدق.

* ثانيهما – أنها لم تكن االنفجارية (شديدة)، بل كانت صوتاً احتكاكياً (رخواً)[١]. فقد صنفها الخليل ضمن الأصوات الغارية "ثم الجيم والشين والضاد في حيز واحد"[٢]. وقال سيبويه "في مخرجها ومن بين أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس مخرج الضاد"[٣]. واتفق معه ابن جني في المخرج، فقال: "من أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس، مخرج الضاد، إلا إنك إن شئت تكلفتها من الجانب الأيمن وإن شئت من الجانب الأيسر"[٤]. وقال المبرد: "مخرج الكاف وبعدها مخرج الشين، ويليها مخرج الجيم، ويعارضها (أي الجيم)، الضاد، ومخرجها الشدق، فبعض الناس تجري له في الأيمن، وبعضهم تجري له في الأيسر"[٥].

---

(١) العين جـ ١/٦٤.

(٢) المدخل إلى علم اللغة ص ٦٢ ، ٦٣.

(٣) كتاب سيبويه جـ ٤/٤٣٣.

(٤) سر صناعة الإعراب جـ١/٥٢.

(٥) المقتضب، أبو العباس محمد يزيد المبرد، والمجلس الأعلى للشئون الإسلامية جـ١/٣٢٨ ، ٣٢٩.

هذا عن المخرج أما عن صفة الضاد القديمة، فقد صنفها سيبويه ضمن الأصوات الرخوة، فقال: "ومنها الرخوة، وهي: الهاء، والحاء، والغين، والخاء، والشين، والصاد، والضاد، والزاي، والسين، والظاء، والثاء، والذال، والفاء، وذلك إذا قلت الطَّس وانقض، وأشباه ذلك أجريت فيه الصوت إن شئت[1]"، فالضاد القديمة رخوة أو مهموسة فلا نظير لها منفتحاً بين الأزواج الصوتية التي يقابل فيها الصوت المطبق نظيره في الأصوات المنفتحة التي تشترك معه في المخرج قال: "ولولا الإطباق لصارت الطاء دالاً، والصاد سيناً، والظاء ذالاً، ولخرجت الضاد من الكلام، لأنه ليس شيء في موضعها غيرها"[2] فالضاد القديمة لا نظير لها في الأزواج التي ذكرناها، وهذا وصف الضاد التى وقعت فى كلام الناس زمن الخليل ١٧٥هـ وتلميذه سيبويه ت ١٧٥هـ.

ونصل من هذا أن الضاد التي نطق بها القدماء ليست هي الضاد التي تنطق بها اليوم، فالضاد الحديثة تطورت في النطق عن الضاد القديمة التي وصفت بها العربية بأنها لغة الضاد. والتي وصفها بعض علماء اللغة بأن مخرجها مخرج الظاء، أو اللام، من حافة اللسان اليمنى أو اليسرى أو كليهما معاً، فمخرجها قريب من مخرج اللام من بعض الوجوه، فالفرق بينها وبين اللام أن الضاد صوت مطبق كالصاد، ومن ذوي الدوى (احتكاكي أو رخو). واللام صوت غير مطبق، مجهور. وأقرب الأصوات نطقاً منها صوت الظاء، فالضاد القديمة ذات زائدة انحرافية، فطرف اللسان فيها يقترب من الثنايا كما في النطق بالظاء، ويجري النفس خلال نطقها من جانبي اللسان، لا من طرفه كما هو الحال في نطق الضاد المعاصرة، التي تخرج من موضع طرف اللسان مع اللّثة، ويصنف ضمن الأصوات الانفجارية، ولهذا فهو المقابل المطبق لصوت الدال، والضاد التى وقعت فى أداء القراء هى التى كانت زمن الوحى ونزل بها، وتشاكل لسان قريش الذى نزل به القرآن الكريم.

فالعربية التى تكلم بها الأولون ليست هى العربية التى تكلم بها العرب على عهد النبى ﷺ، والعربية زمن النبوة اختلفت عن العربية زمن التدوين فى القرن الثانى وما بعده، وذكر هذا محمد بن سلام ونقله عنه السيوطى، ويريد بذلك اختلاف مستويات اللغة وما يصيبها

---

(١) كتاب سيبويه جـ ٤ / ٤٣٤ ، ٤٣٥.

(٢) كتاب سيبويه جـ ٤ / ٤٢٦.

من تطور، وعلى هذا فسر العلماء قول الخليل فى اختلاف لسان حمير وأقاصى اليمن، والعلماء وصفوا الضاد فى الخطاب اليومى وتطورها فيه ولم يخطئ القراء فى نطق الضاد؛ والله أعلم[1].

وقد وقع تطور آخر في صوت الطاء المفخمة، فهي تنطق في ألسنة بعض العوام تاء، ووقع مثل هذه في كل صوت مطبق ونظيره المنفتح في كثير من الكلمات، فكلمة السراط جاءت في بعض اللهجات الصراط، والزراط. قال العكبري: "والسراط بالسين هو الأصل؛ لأنه من سرط الشيء، وسمى الطريق سراطاً لجريان الناس فيه كجريان الشيء المبتلع، فمن قرأه بالسين جاء به على الأصل، ومن قرأه بالصاد قلب السين صاداً لتجانس الطاء في الإطباق، والسين تشارك الصاد في الصفير والهمس، فلما شاركت الصادفي ذلك قربت منها، فكانت مقاربتها لها مجوّزة قلبها إليها لتجانس الطاء في الإطباق، ومن قرأ بالزاي قلب السين زايـاً؛ لأن الزاي والسين من حروف الصفير، والزاي أشبه بالطاء، لأنهما مجهورتان، ومن أشم الصاد زاياً قصد أن يجعلها بين الجهر والإطباق"[2]. وهذا من أثر مجاورة الأصوات وتأثيرها في بعضها، وصارت الظاء زاياً فى نطق العامة، يقولون: زهر فى ظُهر وبعضهم يقول: دُهر، ويقلبون الضاد دالاً، والصاد سيناً، وهذا لحن لا يعتد به.

التوسط : وهو الحال الوسط بين الشديدة والرخاوة، وهو عبارة عن خروج الصوت دون انفجار، أو احتكاك عند المخرج، والأصوات المتوسطة أربعة، وهي: اللام، والنون، والميم، والراء، ويطلق على هذه المجموعة وصف "الأصوات المائعة".

التركيب : كون الصوت مزيجاً من الشدة والرخاوة (من الانفجار والاحتكاك)، وهو وصف لا ينطبق إلا على صوت الجيم التى تعرف فى عرف العوام بالجيم المعطشة، ويسمى الصوت المزدوج، ويتم نطقه بأن يرتفع مقدم اللسان في اتجاه الغار، فيلتصق به، وبذلك يحجز الهواء وراءه، ثم يزول هذا الحاجز ببطء، فلا يفتح فجأة، ولا يترك مفتوحاً، ويترتب على هذا خروج الهواء بطيئاً، فيحدث احتكاك شبيهاً بالذي نسمعه من صوت الشين المجهورة "ج" في روج، وقد بدأ الصوت في أوله دالاً ثم انتهى شيناً مجهورة (ج).

---

(١) ارجع إلى: طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام، س١/٥ والمزهر للسيوطى جـ١/٣٣.

(٢) إملاء ما من به الرحمن، دار الشام للتراث ص٧.

والازدواج يعني أن يبدأ الصوت باحتباس الهواء بين وسط اللسان، وما يوازيه من الحنك الأعلى (الغار) بما يشبه البدء بصوت الدال، ثم ينفرج فجأة محدثاً احتكاكاً، وبذلك أصبح صوت الجيم شبيهاً بصوتين مركبين، ويرمز له في الكتابات الأجنبية برمزين هما (dj)، فالرمز (d) لقيمة الشدة، والرمز (j) لقيمة الرخاوة[1].

وتوجد بعض الأصوات المركبة في اللغات الأجنبية تعرف بالصوامت المركبة Affriquees مثل: Child (طفل) ، وهو تقريباً 'tch'، ومثل Chair : كرسي، وهو نوع من التركيب بين النموذج الانغلاقي الشديد، والنموذج الاحتكاكي.

توزع الوحدات الصوتية العربية على النحو الآتى:

- **أصوات شد يدة، وهي: ء ، ب ، ت ، د ، ض ، ط ، ق ، ك .**
- أصوات رَخوة، وهي: ث ، ذ ، ظ ، ح ، ع ، هـ ، خ ، غ ، ش، س ، ز ، ص.
- **أصوات متوسطة، وهي : ر ، ل ، م ، ن ، ويدخل معهم الواو والياء الصامتان (المتحركان).**
- **مركبة، وليس منها في العربية إلا الجيم الفصحى.**

وتعالج الصوائت (ا،و،ي) ضمن الحركات الطويلة أو حركات المد.

التفخيم : معناه ارتفاع مؤخرة اللسان إلى أعلى قليلاً في اتجاه الطبق اللين، وتحركه إلى الخلف قليلاً في اتجاه الحائط الخلفي، ولذلك يسميه بعض علماء أصوات 'الإطباق' Velarization بالنظر إلى الحركة العليا للسان، ويسميه بعضهم التحليق Pharyngalization، بالنظر إلى الحركة الخلفية للسان.

ويمكن تقسيم الأصوات المفخمة في اللغة العربية على ثلاثة أنواع :

أ – أصوات كاملة التفخيم، أو مفخمة من الدرجة الأولى، وهي الصاد والضاد والطاء والظاء وهى تفخم فى كل المواضع فلا ترقق وقد تناولناها فى الإطباق، فارجع إليها.

---

(١) علم الأصوات ص ١١٤ ، ١١٥.

obeikandl.com

ب- أصوات ذات تفخيم جزئي، أو مفخمة من الدرجة الثانية، وهي الخاء والغين والقاف، وتنطق هذه الأصوات مفخمة بسحب اللسان إلى الخلف ورفع مؤخرة تجاه أقصى الحنك، وهذه الأصوات الثلاثة تقوم في كثير من الأحيان قياماً جزئياً بوظيفة الأصوات المفخمة، حيث تصبح الألوفونات (جزء من أجزاء الفونيم) المجاورة لها في تتابعات معينة من ذلك النوع الذي ينتج تحت تأثير الأصوات المفخمة، وقد سميت هذه الظاهرة شبه التفخيم Semi Emphasi[1].

جـ- صوت يفخم في مواقع،ويرقق في مواقع وهو الراء[2].

د- صوت يفخم فى لفظ واحد، وهو اللام يفخم فى لفظ الجلالة (الله) فقط إن لم يكسر ما قبله.

وقد استخلص الدكتور إبراهيم أنيس ضوابط عامة في تفخيم الراء وترقيقها وهي:

١ - تفخم الراء المفتوحة في كل المواضع إلا إذا سبقها كسرة أو ياء مد فهي تفخم في: صَبروا ، وفي مثل: الرَّحمن. وترقق في مثل: ﴿لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ﴾[١٦٨: النساء]. و ﴿فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾[١١٩: النساء] مرققه في خسر. ومثل: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾[٤٥ : البقرة].

٢- ترقق الراء المكسورة مطلقاً مثل: رِزق، رِجس.

٣- تفخم الراء الساكنة إذا سبقها فتح مثل: يَرْجعون.

٤- ترقق الراء إذا سبقها كسر مثل: فِرْعون، إلا إذا وليها صوت استعلاء (ص ، ض ، ط ، ظ ، ق ، غ ، خ). مفخم مثل: قرطاس.

ورأي الدكتور أنيس أن حكم الراء المضمومة أو الساكنة وقبلها ضم غامض لا يكاد

---

(١) الألوفون هو جزء من أجزاء الفونيم، هو عبارة عن الظاهرة الصوتية التي تطرأ علي الأصوات، وتؤثر في طريقة أدائها صوتياً، وتنتج عن تأثير تجاور الأصوات، فيؤدي إلي إحداث تغير في بعض صفاتها.

(٢) الأصوات اللغوية ص ٦٥.

يهتدي فيه إلى رأي عما يسمعه من أفواه القراء[1]، وتفخيم الراء موجود في العربية قديماً وحديثاً.

واستخلص الدكتور أنيس كذلك قواعد تفخيم اللام من أفواه القراء وعلماء العربية؛ ورأي أن اللام نوعان مرققة ومغلظة، والأصل فيها الترقيق، ولا يجوز الرجوع عن هذا الأصل عند جمهور القراء إلا بشرطين :

١- أن يجاور اللام أحد أصوات الاستعلاء (ولاسيما الصاد، والطاء، والظاء) ساكناً أو مفتوحاً.

٢- أن تكون اللام نفسها مفتوحة، مثل: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾[١٥٧: النساء]، ﴿سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾[٣ : المسد]، ﴿سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾[٥ : القدر].

وقد أجمع الجمهور على تغليظ اللام في اسم الجلالة إلا إذا كان يسبقها كسرة نحو: (بسم الله)[2]، وشرطوا في تفخيم اللام أن تسبق بمفتوح أو مضموم يقال فضلُ الله، والرزقُ مِنَ الله.

والتفخيم في اللام ناشئ كذلك عن ارتفاع مؤخر اللسان نحو الحنك الأعلى، كما في الأصوات المطبقة[3].

وتوجد علاقة بين المطبق والمفخم، فكل مطبق مفخم، وكذلك توجد علاقة بين المنفتح والمرقق فكل منفتح مرقق، وهذا لا يعني التطابق أو الترادف بين كل زوجين من هذه المصطلحات فبينها فروق، فالفرق بين الإطباق والتفخيم، أن الإطباق وصف عضوي للسان في شكله المقعر المطبق على سقف الحنك، وأن التفخيم: هو الأثر السمعي الناشئ عن هذا الإطباق، فالإطباق وصف العضو اللساني في حالة النطق، والتفخيم وصف الصوت نفسه، وكذلك الانفتاح وصف حالة العضو في حالة نطق الأصوات التي لا تنطبق فيها اللسان،

---

(١) نفسه ص ٦٥.

(٢) الأصوات اللغوية ص ٦٤.

(٣) علم الأصوات ص ١١٩.

والترقيق وصف الصوت الذي ينطق في حالة كون العضو (اللسان) منفتحاً[1].

وقد يكون التفخيم سمة تمييز بين الوحدات الصوتية مثل الثنائيات الصوتية الصغرى التي تتشابه في معظم صفاتها مثل: س : ص، ت : ط، ذ: ظ ، د : ض فالتفخيم هو السمة الأساسية لتمييز الأصوات المطبقة المفخمة (ص، ض ، ط ، ظ) عما يناظرها من أصوات تنطق مثلها إذا انعدام فيها التفخيم. وقد لا يؤثر التفخيم أو وعدمه في علاقة الصوت بغيره من الأصوات. مثل: اللام ، والراء ، لأنهما ليسا من الثنائيات التي تلتبس في النطق بغيرها[2].

الأصوات المستعلية : هي الأصوات المطبقة (ص ، ض ، ط ، ظ)، والاستعلاء صفة لبعض الأصوات الخلفية، وهي: القاف والغين والخاء. وهي الأصوات التي يرتفع اللسان بجزئه الخلقي نحو اللَّهاة؛ ليخرج الصوت غليظاً مفخماً، ولكن دون مبالغة في تغليظ النطق.

الاستفال : وهو وضع اللسان يكون فيه أسفل في قاع الفم، وذلك في بقية الأصوات المرققة. والأصوات المستعلية تأتي في مقابل الأصوات المستفلة، والأصوات الخلفية المستعلية (ق ، غ ، خ) تتأثر بما يليها من حركات أمامية فيضعف فيها أثر التفخيم قليلاً أو كثيراً، وقد لا يضر هذا في حالة النطق بالغين والخاء في مثل: غِبت وخِفت، لأن الكسرة تشد الصامت قبلها إلى قبيل مخرجها في الغار، فيصيبه بعض الترقيق، ولكن القاف إذا تقدم مخرجها صارت كافاً، كما هو شائع على ألسنة بعض العوام والأطفال الذين ينطقون القاف كافاً، مثل "الكاهرة"[3].

أصوات الصفير : هي الأصوات التي يضيق خلال نطقها مجرى هذه الأصوات ضيقاً شديداً عند مخرجها، فتحدث عند النطق بها صفيراً عالياً، ولا يشركها في نسبة علو هذا الصفير غيرها من الأصوات.

---

(١) ارجع إلى علم الأصوات ص ١١٧.

(٢) علم الأصوات ص ١١٩ الراء أو اللام مفخمة أو مرققة وحدة صوتية واحدة فلا نظير صوتي لهما تتحولان إليه، خلافاً لصاد التي تنقلب في حالة الترقيق سيناً.

(٣) علم الأصوات ص ١١٨. والأصوات المستعلية هي الأصوات المطبقة (ص ، ض ، ط ، ظ) بالإضافة إلى الأصوات الخلفية: ق ، غ ، خ.

وهي عند القدماء السين، الزاي، الصاد، ولكن المحدثين من علماء الأصوات يجمعون كل الأصوات التي تحدث في نطقها ذلك الحفيف أو الصفير عالياً كان أو منخفضاً في صعيد واحد، وهي عند المحدثين: ث ، ذ، ز ، س ، ش ، ص ، ظ ، ف. وهي على هذا تختلف في نسبة وضوح صفيرها، وأعلاها صفيراً: السين، والزاي، والصاد، وقد أطلق عليها القدماء أصوات الصفير، وهي عند علماء الأصوات الأسَلية.

وإذا أدركنا أن هذا الصفير ليس إلا نتيجة ضيق المجرى عند مخرج الصوت عرفنا أن المجرى عند مخرج: الثاء، والذال، والزاي، والسين، والشين، والصاد، والظاء، والفاء تختلف نسبة ضيقه تبعاً لعلو الصفير مع كل منها. وعلى قدر ضيق المجرى عند المخرج، يكون علو الصفير ووضوحه. وأضيق ما يكون مجرى الهواء عند النطق بالسين، والزاي، والصاد، التي وصفها العلماء بأنها أسلية نسبة إلى مخرجها[1].

صوت التفشى : وهو الذي يشغل اللسان أثناء النطق به مساحة أكبر ما بين الغار واللثة، وهو وصف صادق على الشين، ولولا التفشي لصارت الشين سيناً، كما يحدث لدى بعض ذوي العيوب النطقية ولا سيما الأطفال الذين لا يجدون عناية ممن حولهم من الكبار[2]، والتفشى فيها يعنى انتشار الهواء فى الفم فيحدث احتكاكاً من توزيعه على جانبى اللسان مع حواف الأضرس الداخلية.

والشين : صوت رخو مهموس عند النطق به يندفع الهواء من الرئتين ماراً بالحنجرة، فلا يحرك الوترين الصوتيين، ثم يتخذ مجراه في الحلق ثم الفم مع مراعاة أن منطقة الهواء في الفم عند النطق بالشين أوسع منها عند النطق بالسين[3]، وذلك أن اللسان يكون محكماً على الأضراس فى السين ويتراجع عنها قليلاً فى الشين.

الاستطالة : أن يستطيل مخرج الصوت حتى يتصل بمخرج آخر وهي صفة صوت الضاد العربية القديمة، وهو صوت رخو يخرج مما بين جانبي اللسان، وبين ما يليه من الأضراس، سواء من يمين اللسان أو من شماله أو من الجانبين. والأكثر من اليمين، وهذا المخرج القديم

---

(١) الأصوات اللغوية ص ٧٤ ، ٧٥.

(٢) علم الأصوات ص ١٢٠.

(٣) الأصوات اللغوية ص ٧٧.

كان يستطيل حتى يتصل بمخرج اللام الجانبية، ولهذا نطقها بعض الأفارقة لاماً، وقد نطقت في بعض لهجات العرب ذالاً، ولاماً، ونطقت ظاء في مثل: ضنين: ظنين، وتبدل كذلك زاياً مثل أوفاض: أوفاز[1]. وينطقها المسلمون غير العرب دالاً، ومتعلمو العربية من بعض الأسيويين ينطقونها زاياً يقولون: بعز فى بعض.

** ** ** **

(١) ارجع إلى: المدخل إلى علم اللغة ص ٦٩ وما بعدها.

obeikandl.com

المماثلة الصوتية

Assimilation

المماثلة تأثر الأصوات بما جاورها من الأصوات الأخرى، فتنقلب إلى جنس الصوت الذي تأثرت به أو تنقلب إلى صوت مقارب له في الجهر أو الهمس أو الاحتكاك أو الانفجار أو في صفة الأنفية أو تتأثر بمخرج، وتقع المماثلة عندما يتعاقب صوتان وتنتقل بعض خصائص أحدهما للآخر، ويقع هذا التماثل فى الخطاب المنطوق تخفيفاً للنطق وتيسيراً لسهولته والسرعة فى الأداء، وتجاور الأصوات المتماثلة فى المخرج والصفة، وينعكس ذلك على اللغة المكتوبة[1].

فالمماثلة نوع من الانسجام الصوتي يتأثر الصوت فيه بما قبله، أو بما بعده من أصوات، فالأصوات يتأثر بعضها ببعض عند النطق بها في الكلمات والجمل، فتتغير مخارج بعض الأصوات أو صفاتها، لكي تتفق في المخرج أو في الصفة مع الأصوات الأخرى التى تجاورها فى الكلام، فينتج عن ذلك نوع من التوافق أو الانسجام بين الأصوات المتنافرة في المخارج أو في الصفات، فأصوات اللغة تختلف فيما بينها في المخارج، والشدة والرخاوة، والجهر والهمس، والتفخيم والترقيق، فإذا اجتمع في الكلام صوتان من مخرج واحد أو من مخرجين متقاربين، وكان أحدهما مجهوراً والآخر مهموساً مثلاً، حدث بينهما شد وجذب كل واحد منهما يحاول أن يجذب الآخر من ناحيته ويجعله يتماثل معه في صفاته كلها، أو في بعضها[2].

وتأثر الصوت بما جاوره يقع على وجهين :

١- تأثر رجعي **Regressive**: وهو تأثر الصوت بالصوت الذي يليه أو تأثر الصوت الأول بالثاني أو تأثير الثاني في الأول، فيصير الأول إلى الثانى أو يكون قريباً منه.

٢- تأثر تقدمي **Progressive**: وهو تأثر الصوت بالصوت الذي يسبقه أو تأثر الثاني

---

(١) ارجع إلى: معرفة اللغة، جورج برتيل ص٧٠، والأصوات والنظام الصوتي (علم اللغة) الدكتور بدوي ص ٨٣، وارجع إلى: الفصل الذي كتبه الدكتور إبراهيم أنيس رحمة الله عن التماثل في كتابة الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو ط١٩٩٠م ص١٧٩ – ٢٠٧.

(٢) ارجع إلى: الأصوات اللغوية للدكتور إبراهيم أنيس ص١٨٠، والتطور اللغوي، الدكتور رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي ط ٢ / ١٤٠٠ هـ ، ١٩٩٠ م ص ٣٠.

بالأول أو تأثير الأول في الثاني، فيصير الثانى إلى الأول أو يكون قريباً منه.

ومن أمثلة التأثر الرجعي النون في كلمة "ينفع" تعد النون من أكثر الأصوات تأثراً بما بعدها من أصوات حيث يكثر انتقال مخرجها إلى مخرج الصوت التالي لها، فالنون صوت لثوي، ولكنه في "ينفع" تأثر بالصوت الذي يليه (الفاء) في النطق، فأصبح صوتاً شفهياً أسنانياً، فالفاء صوت شفهي أسناني. وصوت النون في مثل: ينظم ينطق مطبقاً متأثراً بصوت الظاء الذي يليه، وهو صوت مطبق.

وهذا التأثر يسمى بالتأثر الرجعي، لأن الصوت الأول تأثر بالثاني الذي يليه.

ومن أمثلة التأثر التقدمي : صيغة افتعل من الأفعال الآتية دعا، ذكر، زاد، هي: ادتعي – اذتكر – ازتاد ، ولكن صوت التاء المهموس تأثر بالصوت السابق عليه، وهو في "دعا" صوت الدال، وهو صوت مجهور، ومثله صوت الذال في "ذكر"، وصوت "الزاي" في زاد مجهوران، وقد اجتمعت الأصوات الثلاثة المجهورة مع التاء المهموسة، فتأثر صوت التاء المهموس بالمجهور الذي قبله، فأجهرت التاء، فأصبحت صوتاً من جنس ما قبلها، فصارت اددعى، ثم أدغمت الدال في الدال فصارت: ادَّعى وقلبت التاء دالاً فى ازتاد: ازداد تأثراً بالزاى المهموسة، وقد وقع هذا التأثر في مُدَّكر من قوله تعالى: ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾[القمر:٣٢] (مدَّكر) بالدال، وأصلة الذال والتاء، ويقرأ بالذال مشدداً[1]، ومثله قوله تعالى: ﴿مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ﴾ [القمر: ٩] الدال بدل من التاء؛ لأن التاء مهموسة والزاى مجهورة، فأبدلت صوتاً مجهوراً يشاركها في المخرج والجهر وهو الدال[2]. والتاء عندما تجهر تقلب دالاً، وكذلك الدال عندما تهمس تقلب تاءً.

والمماثلة من ناحية الحدوث نوعان :

المماثلة التامة، وغير التامة: قد يكون التغير كاملاً أو غير تام، فالتغير التام يسمى بالمماثلة التامة، وهو قلب الصوت قلباً تاماً ليصبح من جنس الصوت الآخر، كما في: ادّكر، قلبت

---

(١) إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب للعكبري، دار الشام للتراث ص ٢٥٠، وقرئ: "مُذَكر" "مُذَّكر" بتشديد الذال.

(٢) نفسه ص٢٤٩.

التاء دالاً خالصة، وأدغمت في الدال التي تسبقها، ومثلها: اطَّرد أصلها: اطْطَرد من اطترد.

والمماثلة غير التامة: هي قلب الصوت إلى صوت قريب من الآخر نحو: نفع وينظم: قلب صوت النون إلى صوت شبيه بالفاء في ينفع، وصوت شبيه بالظاء في ينظم؛ لانتقال مخرج النون إليهما. وقد يقلب الصوت إلى آخر مشابه لما تأثر به نحو: اضطرب قلبت التاء طاء وهى مفخمة مثل الضاد.

وهذا النوع من التماثل الذي يقلب فيه الصوت قلباً تاماً أو قلباً شبيهاً بما يجاوره، يسمى بالموافقة أو تماثل الموافقة، لموافقة الصوت ما يجاوره في الصفات فيقلب الصوت إلى آخر مماثل له أو مقارب لما جاوره، ولا يكون هو هو خالصاً.

وقد درس علماء العربية القدماء هذه الظاهرة دراسة مستفيضة، لما لها من أثر في التطور اللغوي، وما تحدثه من تغيير في البنية الصوتية للألفاظ، وهم بذلك رواد البحث في هذا الموضوع.

وقد عقد لهذا الموضوع الدكتور إبراهيم أنيس فصلاً فى كتابه الأصوات اللغوية، فعرفه وبين مواضع وقوعه وآراء القدماء فيه، وأثبت أن القدماء قتلوه بحثاً فى موضوعات: الإدغام، والإبدال، والقلب وظواهر اللهجات، وبين معالجة القراء لهذا الموضوع فى القراءات القرآنية، وذكر آراء المحدثين فيه من الغربيين، ثم قدم تطبيقاً عملياً على نماذج من اللغة العربية التى تحققت فيها ظاهرة التماثل.

وقد كتب الدكتور عبد العزيز مطر بحثاً قيماً في جهود علماء الأصوات العرب في ابتكار نظرية التماثل الصوتي، التي اهتم بها علماء الأصوات الغربيين حديثاً وتوسعوا فيها، وأطلقوا عليها اسم نظرية التماثل، واعتقدوا أنها من ابتكارهم، وقد أعطى الدكتور مطر اهتماماً خاصاً لجهود سيبويه. وهو إمام النحاة في هذا الموضوع، وقد رأى الدكتور مطر أن التماثل ظاهرة صوتية ذات أثر في التطور اللغوي، اعترف بها، ورسم حدودها وبين أثرها اللغويون المحدثون، ويمثلهم في هذا البحث: اللغوي الإنجليزي "دانيال جونز" (Daniel Jones)، واللغوي العربي الدكتور إبراهيم أنيس [1].

(١) مجلة اللسان العربي، المغرب م٧ ، جـ١/٥٢.

وأكد الدكتور مطر أن هذه الظاهرة الصوتية قد عرفت أيضاً عند اللغويين القدماء: ويمثلهم: سيبويه (أبو بشر عمرو ت ١٨٠هـ)، وابن جني (أبو الفتح عثمان ت ٣٩٢هـ). وقد بين الدكتور مطر مفهوم التماثل فبدأ بتعريف هذه الظاهرة، وتحديد معالمها، وبيان أثرها في التطور الصوتي عند المحدثين والقدماء.

والتماثل الصوتى يقع فى غير العربية أيضاً، وتناوله العلماء الغربيون، وقد عقد دانيال جونز فصلاً في كتابه: (An out line of English Phonetics) تناول فيه ظاهرة (Assimilatin) وأثرها في تطور أصوات اللغة الإنجليزية، وبين أثره فى الانجليزية، ولكن جونز كان أكثر تفصيلاً له.

وقد عرف جونز التماثل بأنه "استبدال صوت بآخر تحت تأثير صوت ثالث يكون مجاوراً له في الكلمة أو في الجملة. وهو عنده نوعان: تماثل عادى، وتماثل يتحقق من إدغام صوتين بحيث يكونان صوتاً واحداً، ويسمي هذا النوع "التماثل المجمع أو الإدغام (Coalescent Assimilation)". ويمثل "جونز" للتماثل العادي غير التاريخي بالتغير الذي يطرأ على صوت الـ S في الكلمتين (Horse, Shoe) عندما تركبان معا نحو: Horse -Shoe (حدوة الحصان) حيث تنطق الـ S هكذا Sh (ش).

التماثل المجمع (الإدغام): الصوتان قد أثر كل منهما في الآخر، وأدغما واجتمعا في الصوت واحد. ويمثل للتماثل المجمع (الإدغام) Coalescent Assimilation بالكلمتين Roast beef حيث تحولت الـ S إلى Z تحت تأثير صوت الـ B المجهور.

وتوجد أمثلة أخرى عديدة غير التى ذكرها جونز، مثل: "I Can Go" الصوت الطبقى "g" سيؤثر فى الصوت الأنفى السابق عليه "n" فينقله من مخرجه اللثوى إلى مخرج "g" الغارى، فيصبح "aykago" بإدغام "n" فى "g" حدث فيه ما حدث للنون العربية فى ينفع، ومثله "You and me" تنطق "Yuanmi"[(١)]، وعد "يول" التماثل نوعاً من التأليف بين الأصوات، وقد تأثر بجونز وسجل ظواهر أخرى تقع فى الأصوات[(٢)].

---

(١) ارجع إلى: معرفة اللغة، جورج يول ص٧١.

(٢) معرفة اللغة، جورج يول ترجمة الدكتور محمود فراج ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م ص ٧٠ ، ٧١.

وقد درس الدكتور إبراهيم أنيس هذه الظاهرة الصوتية وخصص لها فصلاً في كتابه "الأصوات اللغوية".[١] تحت عنوان: المماثلة Assimilation شرح فيه الظاهرة، وبين نوعيها الرجعي والتقدمي، ومثّل لكل منهما، ثم وضّح درجات تأثر الأصوات المتجاورة، وقد اعتمد الدكتور أنيس على جهود القدماء وحدد مفهوم المماثلة، وهذا المصطلح لم يستخدمه القدماء بيد أنهم عالجوا الموضوع فيما يقع بين الأصوات من تعاقب وتأثير وإتباع وإدغام وقلب وإبدال وإعلال.

وأثبت الدكتور أنيس أن الخليل عالج المماثلة، وعالجها تلميذه سيبويه وسماها بالمضارعة وبالتقريب والإدغام، وعالجها ابن جنى فى الخصائص. وقال في شرح المماثلة: "تتأثر الأصوات اللغوية بعضها ببعض في المتصل من الكلام ...، ومجاورة الأصوات بعضها لبعض في الكلام المتصل، هي السر فيما قد يصيب بعض الأصوات من تأثر. والأصوات في تأثرها تهدف إلى نوع من المماثلة أو المشابهة بينها، ليزداد مع مجاورتها قُربها في الصفات أو المخارج، ويمكن أن يسمي هذا التأثر بالانسجام الصوتي بين أصوات اللغة، وهذه ظاهرة شائعة في كل اللغات بصفة عامة، غير أن اللغات تختلف في نسبة التأثر وفي نوعه"[٢]، ويعلق الدكتور مطر على هذا قائلاً: "ومع أن أستاذي قد وفَّي هذه الظاهرة حقها شرحاً وتوضيحاً، وتمثيلاً وتعديلاً، لحظت أنه لم يربط بين ما قرره المحدثون وما ذكره سيبويه وابن جني".

وقام الدكتور عبدالعزيز مطر بتوضيح ظاهرة التماثل فقال: "إذا تجاور صوتان تجاوراً تاماً، بحيث لا يفصل بينهما صوت لين (حركة) وكانا مختلفين في صفة الجهر والهمس، أو الشدة والرخاوة، أو الإطباق والانفتاح فإن هذين الصوتين يميلان إلى الانسجام بأن يصبحا متماثلين في الصفة[٣]، وإذا كان هذان الصوتان المتجاوران متقاربين مخرجا أو صفة، أو متجانسين، فإن التماثل بينهما قد يصل إلى أن يفني أحدهما في الآخر بإدغامه فيه"[٤]، وهو مايعرف بالتماثل التام.

---

(١) الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو طـ ١٩٩٠م ص ١٧٨ وما بعدها .

(٢) الأصوات اللغوية: ١٢٦.

(٣) الدكتور عبد العزيز مطر: بحث "علماء الأصوات سبقوا اللغويين المحدثين في ابتكار نظرية التماثل". مجلة اللسان العربي. المغرب م٧جـ١/٥٢، ٥٣.

(٤) نفسه ونقل عن الدكتور أنيس كثيراً من مادة هذا الموضوع، انظر الأصوات اللغوية ص١٧٨.

ويقع التماثل فى الأصوات التى تشترك فى مخرج واحد أومن مخرج قريب، أو تجمع بين الصوتين صفة، ويختلفان فى أخرى، فإن وقع تأثير فى هذه الصفة التى خالف الحرف غيره فيها فماثلت الصفة، الصفة تحول الحرف إلى جنس الحرف الآخر أو قريب منه ويقع التأثير على النحو الآتى:

١ – **الجهر والهمس** :

تؤثر صفتا الجهر والهمس فى قلب الأصوات أو إبدالها، فإن تأثر بصفة مجاورة قلب إليه أو قريباً منه. والجهر اهتزاز الوترين الصوتيين أثناء نطق الصوت والهمس سكونهما، فقد تغلب إحدى الصفتين الأخرى، فيجانس الصوت نظيره ومثال ذلك بناء وزن افتعل فى بعض الكلمات، يقول الصرفيون إن فاء "افتعل" إذا كانت زايًا قلبت التاء دالا، نحو: ازدجر، ازدهي، ازدان، ازدلف ... والأصل: ازتجر، وازتهي، وازتان، وازتلف، لقد جاورت التاء الزاي، والتجاور هنا تام، إذ لم يفصل بين الزاي والتاء حركة. ولما كانت الزاي صوتاً مجهوراً، وكانت التاء صوتاً مهموساً، فإن الصوتين يميلان إلى تحقيق الانسجام بينهما، وتأثرت التاء المهموسة بالزاي المجهورة فجُهر بها، وحين يجهر بالتاء تصبح دالاً؛ لأن التاء والدال من مخرج واحد، فأصبح صوت الدال والزاي متقاربين فى الصفات فكلاهما مجهور.

ويسمي التأثر الذي تم في هذه الأمثلة تأثراً تقدمياً؛ لأن الصوت الثاني، وهو التاء تأثر بالأول وهو الزاي. وهو تماثل غير تام، لأن التاء قلبت دالاً ولم تقلب إلى جنس ماسبقها، ومن ذلك: المزدرو والفزد والأصل: المصدر، والفصد قلبت الصاد المهموسة زايـاً لتقارب الدال[(١)].

وفي قراءة ابن مسعود: ﴿إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ﴾[(٢)] [العاديات:٩] أي بعثر، يقال إن العين، وهي صوت مجهور، جاورت الثاء، وهي صوت مهموس، فتأثرت العين بالثاء فهمست، وحين تهمس العين تصبح حاء، لأن الحاء هي النظير المهموس للعين المجهورة،

---

(١) الكتاب، سيبويه جـ ٤١٨/٢ ، ٢٥٩.

(٢) الكشاف جـ٦٢٥/٤ "قرئ: بُحْثِرَ وبُحث" وذلك فى بعثر وبعث. والمحتسب جـ٣٤٣/١، وروى أن عمر رضى الله عنه سمع رجلاً يقرأ:﴿**عتى حين**﴾[يوسف:٣٥]، فقال: من أقرأك؟ قال: ابن مسعود. وهذا تأثر بلهجات العرب.

ويسمي التأثر الذي تم هنا تأثراً تخلفياً أو رجعياً أي أن الصوت الأول (العين)، تأثر بالثاني (الثاء)، وفي اللهجة المصرية تنطق: "جهاز تسجيل، هكذا: جهاس تزجيل".

وقد حدث هنا نوعان من التأثر: تأثر الزاي المجهورة في "جهاز" بالتاء المهموسة في "تسجيل" تأثراً تخلفياً، فهمس بالزاي فأصبحت سيناً. وتأثر السين المهموسة في "تسجيل" بالجيم المجهورة تأثراً تخلفياً أيضاً، فجهر بها، وحين يجهر بالسين تصبح زايا، لأنها نظيرها المجهور. ومثال ذلك: جوزت الولد: جوست الولد.

وفي اللهجة المصرية أيضاً ننطق: "خمس دقائق" هكذا: "خمز دآيئ". وننطق "بالنسبة" هكذا: "بالنزبة". "وعلى حسب وداد قلبي" هكذا: "على حزب".. والذي حدث هنا تماثل قلب فيه الصوت المهموس، وهو السين إلى نظيره المجهور، وهو الزاي، بسبب مجاورة السين للصوت المجهور، وهو الدال، أو الباء، تحقيقاً للانسجام الصوتي. ومثله وقع بين الغين والخاء في: صيَّغت البنت (ألبستها الصِّيغة أو الحلى): صيّخت البنت، تأثرت العين المجهورة بالتاء المهموسة فقلبت خاءً مهموسة، والخاء من مخرج الغين.

كذلك ننطق كلمة "أشدق"، وكلمة "مشغول" بجهر الشين، بحيث تقترب من الجيم الشامية (ج) أو "g" في "goerg"، وتفسير ذلك أن الشين، وهي مهموسة، جاورت الدال، وهي مجهورة، فجهر بالشين، ليصبح الصوتان المتجاوران مجهورين، والغين مجهورة فأثرت في الشين فأجهرتها، فصارت مثل "g"، وقد يهمس المجهور نحو: أحراش أصلها أحراج صارت الجيم المجهورة شيناً مهموسة فهما من مخرج واحد[1].

٢- الشدة والرخاوة :

الشدة : احتباس الهواء ثم انفجاره في نطق الصوت، والرخاوة : عدم احتباسه، وقد تؤثر إحدى الصفتين في الأخرى مثل: كلمة ستّ (للعدد:٦) أصلها: سدس، فقلبت السين تاء فأصبحت سدت ثم قلبت الدال تاء بعد همسها، ثم أدغمت التاء في التاء. وتفسير الحالة الأولي أن السين – وهي صوت رخو – جاورت الدال – وهي صوت شديد – فتأثر

(١) أحراج جمع حَرجَةَ وهى الشجر الكثيف الملتف، والعامة تقول أحراش يريدون بها الغابات، والأحراج جمع الحِرْج: حبالة الصائد، وقلادة الحيوان.

الصوت الثاني بالأول تأثراً تقدمياً فقلبت السين إلى نظيرها الشديد، وهو التاء. أما الحالة الثانية، فقد قلب فيها الصوت الأول، وهو الدال إلى تاء بعد أن همس، فالتاء هى النظير المهموس لصوت الدال المجهور ثم أدغم صوت التاء الأول في الصوت الثاني (التاء)، والتأثر هنا تخلفي.

وقوله تعالي: ﴿وَجَاءتْ سَيَّارَةٌ﴾[يوسف:١٩] قرئ بإدغام التاء في السين. وتفسير ذلك أن التاء – وهو صوت شديد – جاورت السين، وهي صوت رخو، فتأثر الصوت الأول بالثاني فقلبت التاء إلى نظيرها الرخو وهو السين. ثم حدث الإدغام[1]. وقوله تعالي: ﴿وَلَوْلاَ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ﴾[الكهف:٣٩] قرئ بإدغام الذال في الدال، وتفسير ذلك أن الذال وهي صوت رخو جاورت الدال وهي صوت شديد، فقلبت الذال دالاً ليصبح الصوتان شديدين، ثم حدث الإدغام. ومن ذلك قلب الباء الشديدة إلى نظيرها الرخو ، وهو الفاء ، في قوله تعالي. ﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ﴾[الرعد:٥١] وبعد القلب حدث الإدغام.

٣- الإطباق والانفتاح :

الإطباق : أن ترفع فى النطق طرفى اللسان إلى الحنك الأعلى مُطبقاً له فيفخم نطق الحرف، فيغلظ الصوت، ويؤثر فى الصوت المرقق الذى ترتفع فيه مؤخرة اللسان ويقع هذا كثيراً فى صيغتى افتعل والافتعال فيها: إذا كانت فاء (افتعل) صوتاً من أصوات الإطباق الصاد أو الضاد أو الطاء أو الظاء، قلبت تاء الافتعال طاء، نحو: اصطبر، واضطرب، واطرد، واظطلم، وهي صيغ (افتعل) من الصبر، والضرب، والطرد، والظلم وقد قلب الصوت المنفتح (التاء) إلى نظيره المطبق (الطاء) بسبب مجاورة التاء للصوت المطبق (الصاد أو الضاد، أو الطاء أو الظاء). والتأثير هنا تقدمي، أي أن الصوت الثاني تأثر بالأول، وإنما تم هذا التأثر، ليتحقق الانسجام بين الصوتين المتجاورين بحيث يكونان مطبقين، ووقع ذلك فى القرآن الكريم فى صيغة افتعل، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ﴾ [البقرة: ١٣٢]، والأصل اصتفى وقد يقلب إلى نظيره وعليه قرأ: ﴿فَلاَ جُنَاْحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا

(١) الأصوات اللغوية ص١٨٠، وعبدالعزيز مطر، التماثل ص٥٤،٥٥.

بَيْنَهُمَا صُلْحًا﴾[النساء : ١٢٨] يريد: يصطلحا أو يصتلحا[١].

ووقع فى غير افتعل فى بسط فى قوله: ﴿وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ﴾ [البقرة:٢٤٧] قرأت السين صاداً تأثراً بالطاء، ففخمت السين، وقد وقع مثله فى ﴿الصِّرَاطَ﴾[الفاتحة: ٦،٧] قلبت السين صاداً لأجل الطاء كقوله ﴿مصيطر﴾ فى "مسيطر"[٢].

وفي اللهجات نقول: مصطرة أي مسطرة، والماء يصخن، بقلب السين صاداً، وتفسير ذلك أن الصوت المنفتح، وهو السين جاور الصوت المطبق، وهو الطاء في: مسطرة، والصوت المستعلي، وهو الخاء في: يصخن، فقلبت السين إلى نظيرها المطبق وهو الصاد، تحقيقاً للانسجام بين الصوتين المتجاورين.

والتماثل فيها قد يكون تاماً نحو افتعل من طرد: اطرد، واظّهر، واصّلح، اظّلم، واطّرب، فقد قلبت التاء إلى صوت يجاس ما قبله.

وقد يكون التماثل غير تام نحو: اصطلح، اصطبر، اضطرب، قلبت التاء إلى صوت يماثل ما قبله فى التفخيم دون أن تقلب خالصة إليه.

وقد يقع التماثل تقدمياً ورجعياً فى كلمة، مثل: اظّلم واطّلم، وذلك فى اظطلم، تأثر الأول بالثانى، والثانى بالأول، فقلب كلاهما إلى الآخر فوقع التماثل تاماً، ووقع تقدمياً ورجعياً فى غير التام نحو: اضطرد واطّرد، تأثر الثانى بالأول وتأثر الأول بالثانى فقلب إليه، ووقع مثل هذا فى غير المطبق (المفخم) فى قراءة: ﴿وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾[يوسف :٤٥] و ﴿ادّكر بعد أمة﴾ ، وقوله ﴿هَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾[القمر :١٥] و ﴿هل من مدّكر﴾[٣].

وهذا التماثل وسيلة من وسائل تيسير النطق وتسهيله، فالصوت المكرر يقف عليه المتكلم وقفتين وفى ذلك جهد، ويقف كذلك على الصوتين المتخالفين وقفتين، وقد تختلف الحركتان فى الحرفين المكررين والحرفين المتخالفين، فيماثل المتكلم بين الأصوات، فيجعلها من جنس

---

(١) مختصر فى شواذ القرآن، لابن خالويه، مكتبة المتنبى ص ٣٦، ويصّلحا قراءة الجحدرى.

(٢) التبيان فى إعراب القرآن، العكبرى، دار الجيل جـ ١/٨.

(٣) التصريف الملوكى ص١٦٣،١٦٤، والتماثل لعبدالعزيز مطر ص ٥٤،٥٥، والكشاف جـ٣/٤٧٣، والأصوات اللغوية ص١٧٨.

واحد ويماثل بين الحركات إتباعاً؛ لئلا تختلف أوضاع النطق وفى ذلك مشقة، فتقع المشاكلة فى الأصوات تيسيراً وانسجاماً وتأليفاً لها، وهذا أيسر فى الأداء وأوقع فى السمع وله أثره فى النفس.

** ** ** **

obeikandl.com

المخالفة

Dissimilation

المخالفة الصوتية : هي قلب صوت إلي آخر مخالف لما جاوره، فقد تشتمل الكلمة على صوتين متماثلين كل المماثلة، فيقلب أحدهما إلى صوت آخر لتتم المخالفة بين الصوتين **المتماثلين، وهذا يقع فى صوتين مكررين تخفيفاً نحو: تسريت وتظنيت وتقصيت وتقضيت** وتمليت وتلعيت من تسررت وتظننت وتقصصت وتقضضت وتمللت وتلععت (من **اللعاعة)، وهي أقل شيوعاً من المماثلة. وتهدف المخالفة إلي السهولة في النطق وتوفير الجهد** العضلي، لأن النطق بالصوت المشدد أصعب من النطق بصوتين متخالفين، فيتخلص المتكلم **من المكررين بالمخالفة بينهما تخفيفاً.**

وتقع المخالفة في اللغة العربية إذا وجد في الكلمة أصوات متماثلة صوتان أو أكثر من **الأصوات الصامتة، فيقلب أحدهما – الأخير غالباً – إلي صوت لين**[(١)]. **وقد عالج سيبويه** هذا الموضوع فى "باب ما شذ فأبدل مكان اللام الياء لكراهية التضعيف وليس بمطرد"[(٢)].

وقانون المخالفة يسير في عكس تجاه قانون المماثلة، فقانون المماثلة يحاول التقريب بين **أصوات بينها بعض المخالفات، أما قانون المخالفة، فإنه يعمد إلي صوتين متماثلين تماماً في** كلمة من الكلمات، فيغير أحدهما إلي صوت آخر، فيغلب أن يكون من أصوات العلة **الطويلة أو من الأصوات المتوسطة أو المائعة، وهي: اللام، والميم، والنون، والراء**[(٣)].

ويقع فى غيرها أقل منها، ويقع وسطاً وآخراً ولا يقع أولاً لعدم مجيء المكرر أولاً.

ومثال هذا "دسس" اجتمع ثلاثة أصوات صامتة، هي السين المشددة ثم السين الأخيرة، فقلبت السين الأخيرة إلي صوت لين طويل هو ألف المد فأصبحت (دسّى)، وجاء هذا في قوله تعالي: ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ [الشمس:١٠] أصلها دسسها فأبدلت السين **الأخيرة ألفاً لكثرة الأمثال.**

---

(١) الأصوات اللغوية ص ٢١٠.

(٢) الكتاب جـ٤/٤٢٤.

(٣) التطور اللغوي ص ٥٧ .

ومثال هذا أيضاً: تسرّر، اجتمع ثلاثة صوامت هي الراء المشددة والراء الأخيرة، ويتطور صوت الراء الأخير إلي ألف، فتصبح تسرّر: تسرّي. قلبت الراء إلي صوت آخر هو ألف المد. وتقضيت من تقضض ومثال: تمطط تقلب الطاء الأخيرة إلي ألف، فتصبح: تمطّى، قال تعالى: ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى﴾[القيامة:٣٣] ومثال: تظنن تقلب النون الأخيرة إلي ألف مد، فصارت الكلمة تظن، ولهذا يقال: تظنيت، وتظننت أيضاً[١].

قال سيبويه في باب سمّاه "هذا باب ما شذ" فأبدل مكان اللام الياء لكراهية التضعيف، وليس بمطرد": "وذلك قولك: تسرّيت، وتظنيت، وتقصيت من القصة، وأمليت.

كما أن التاء في أسنتوا مبدلة من الياء، أرادوا حرفاً أخف عليهم منها وأجلد كما فعلوا ذلك في أتلج، وبدلها شاذ هنا بمنزلتها في ستّ، وكل هذا التضعيف فيه عربي كثير جيد[٢]. ومثال: قرّاط تقلب الراء الثانية ياء: قيراط، ومثال: دِنّار تقلب إلي دينار بدليل الجمع: قراريط[٣]، دنانير. ومثال: أملل وأملي قال تعالي ﴿وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾[البقرة:٢٨٢][٤] ماضى أملَّ ومثال: إجّاص : إنجاص (الكمثري) وأُترجّ: أُترنج. وكراسة: كرناسة، وخلَّط: خلبط، ولخبط (وقع فيها قلب مكاني). وخمّش: خَرْمَش، وخرشم (وقع فيها قلب مكاني). وقنّبيط: قرنبيط، ومهدّم: مهردم. نكش: نعكش. شرّط: شرمط. طبق: طربق (طربأ في العامية). سكّر: سنكَر[٥]. ومثال عنوان: علوان. "لعل" فيها لغات مشهورة ومنها: لعنّ[٦].

وقد فطن العرب القدماء لظاهرة المخالفة وعبروا عنها بـ"كراهية التضعيف" أو كراهية

---

(١) الأصوات اللغوية ص ٨٥ والمقتضب للمبرد جـ١/٢٠٠.

(٢) كتاب سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي جـ٤ / ٤٢٤. والمقتضب جـ١/٢٠٠.

(٣) الكتاب جـ٢/٣١٣، والأشباه والنظائر جـ١/٢٧.

(٤) يملل من أملَّ، وجاء فيه أملى، ومنه قوله تعالى: ﴿فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ﴾[الفرقان:٥]، التبيان فى إعراب القرآن، العكبرى ص٢٢٨، والتطور اللغوي ص ٥٨ ويري الدكتور رمضان أن العنقود أصلها العقّود بتشديد القاف، ففي العنقود نوع من التعقيد، وسر الصناعة لابن جنى جـ١/١٣٤.

(٥) التطور اللغوي ص ٥٩ ، ٦٠.

(٦) التطور اللغوي ص ٦٢.

اجتماع حرفين من جنس واحد" أو "اجتماع الأمثال مكروه" واستثقلوا اجتماع المثلين" وغير ذلك، فقد وضع سيبويه عنواناً لهذا الموضوع أسماه "هذا باب ما شذ فأبدل اللام مكان الياء، لكراهية التضعيف، وليس بمطرد"[١]. وأسماه الخليل بن أحمد "الاختلاف"[٢] وعلله العلماء بكراهة اجتماع الأمثال. ففروا منه إلى القلب، نحو: دهديت الحجر، والأصل: دهدهت، فقلبوا الهاء الأخيرة ياء كراهة إجتماع الأمثال، وقال الخليل: أصل مهما الشرطية: ماما، قلبوا الألف الأولى هاء لاستقباح التكرير[٣]، ولاشك أن المخالفة فى الصوت المكرر تيسر النطق عما إذا كان مضعفاً، فحروف اللين أيسر نطقاً فى دينار، وقيراط من قولنا دنّار، وقرّاط[٤].

والسبب في وقوع المخالفة من الناحية الصوتية هو أن الصوتين المتماثلين يحتاجان إلي جهد عضلي، في النطق بهما في كلمة واحدة، ولتيسير هذا المجهود العضلي يقلب أحد الصوتين صوتاً آخر من تلك الأصوات التي لا تتطلب مجهوداً عضلياً. كاللام والميم والنون .

ومن صور المخالفة في الحركات كسر نون المثني: ولدانِ، كتابانِ، وسبب كسر نون المثني توالي حركة الفتح، الفتحة الأولي طويلة (الألف) والثانية الفتحة التي تقع علي النون، ويعد الفتح أصلاً بدليل فتح نون جمع المذكر السالم. وقد تحولت الفتحة الثانية إلي كسرة لتوالي الفتحتين، فأصبح الصوتان متماثلين في الفتح، وهذا يكلف المتكلم جهداً، فوقعت المخالفة في الفتحة الأخيرة لتيسير المجهود العضلى، وقد احتفظت كتب التراث ببعض الأمثلة تفتح فيها نون المثني منها "شتان أخوك وأبوك" أي هما متفرقان، فهو تثنية: شتّ، والشت: المتفرق. وأطلق الدكتور رمضان عبد التواب علي بقايا الظواهر القديمة اسم الركام اللغوي أي الآثار اللغوية التي احتفظت بمظاهرها القديمة، ومن هذه الأمثلة ما رواه أبو زيد في نوادره[٥]: قول رجل من ضَبَّة :

أعرف منها الأنف والعينانا ومنخرانَ أشبها ظبيانا

---

(١) الكتاب لسيبويه. ط بولاق ١٣١٧هـ ج٢/٤٠١.

(٢) الأشباه والنظائر للسيوطي، المكتبة العصرية جـ١ / ٢٧،٢٨، وارجع إلي: التطور اللغوي ص ٦٢ ، ٦٣.

(٣) الأشباه والنظائر، السيوطى جـ١/٢٧،٢٨.

(٤) الكتاب (ط الهيئة)، جـ ٣١٣/٢، والمقتضب جـ ٢٠٠/١، ومنها أصيلال وأصيلان قيل: الأصل: أصيل وزيدت ألف ونون مبالغة، فماثلت النون اللام: أصيلال فهى مماثلة وليست مخالفة، الكتاب جـ ٢٤٠/٤.

(٥) النوادر في اللغة، أبو زيد الأنصارى، بيروت ١٨٩٤م ص ٦٧ والتطور اللغوي ص٦٥.

وقد فتحت نون المثني في البيتين، والبيتان علي لغة من يلزمون المثني حالة واحدة، فيعرب إعراب المفرد، والدليل أن النون في الأصل مفتوحة أنها تفتح في نون جمع المذكر السالم وفي نون التوكيد المشددة، ونون الأفعال الخمسة في مثل: يفعلون: تأكلون، وتفعلين، أصلها في تفعلان الفتح، وكذلك في يفعلان، ولكن كسرت النون في حالة إسناد الفعل إلي المثني المخاطب والغائب عملاً بقانون المخالفة؛ لأن ما قبلها في الفعلين مفتوح وهو "ألف المثني" حركة مد طويلة[1].

وقد فسر بعض العلماء كسر حركة الإعراب في إعراب جمع المؤنث في ضوء قانون المخالفة، فحركة ما قبل التاء الفتح، فكره توالي الفتح، فكسرت الفتحة الأخيرة في مثل: يتزوج المؤمنونَ العفيفاتِ القانتاتِ العابداتِ.

وهنالك بقايا لغوية (ركام لغوي) تفتح فيه التاء في جمع المؤنث، ورواها أهل اللغة المتقدمون، ومنها: المثل العربي القديم: "استأصل الله عِرْقاتهم"، روي بفتح التاء.

ومارواه الخليل بن أحمد عن العرب أنهم يفتحون التاء في مثل: "رأيت بنائك، بالفتح لخفته"[2]. والمخالفة الكمية بين المقاطع الصوتية من المخالفة الصوتية، وهي ما يقع في اللغة من إطالة الحركة أو تقصيرها، ومن أمثلة هذا ما يحدث لحركة ضمير المفرد الغائب في العربية الفصحى، فالأصل في هذه الحركة الضمة الطويلة، وتحدث له المماثلة الصوتية مع الكسرات قبله، وقد احتفظت العربية الفصحى بالطول في حركته بعد المقاطع القصيرة، مثل: لهُ: يلهو بهِ: بهي.

وقد تقصر حركته في بعض المقاطع الطويلة عن طريق المخالفة، مثل "فيهي" تقصر حركته، فيصبح "فيه" و "منهو" يصبح "منه". والياء فى "فيهى" إشباع لحركة الكسرة التى جانست الياء، وأشبعت الضمة فى "منهو"، لأن الضمة هى الأصل فى الضمير ومثله: همو والأصل: هم[3].

---

(١) التطور اللغوي ٦٥، ٦٦.

(٢) العين للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق عبد الله درويش. بغداد ١٩٦٧م حـ١/١٧٤، والتطور اللغوي٦٥،٦٦، ومصطلح "ركام لغوى" من وضع دكتور رمضان رحمة الله عليه.

(٣) المحتسب جـ ١/٤٣.

ولكن وقعت المخالفة فعدل المتكلم عن الضمة إلى الكسرة تأثراً بالياء فى عليهى وفيهى، ومن هذا ما قرأ به ابن كثير وحفص قوله تعالي: ﴿وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا﴾[الفرقان : ٦٩] قرأ الاثنان: (فيهي مهاناً) بمد حركة الكسر في الهاء ياءً (حركة طويلة)[١]. قال ابن خالويه: قوله تعالي: ﴿فيهِ مهاناً﴾ يقرأ بكسر الهاء، وإلحاق ياء بعدها[٢].

ومثله قوله تعالي: ﴿مَّشَوْاْ فِيهِ﴾[البقرة : ٢٠] قرأ ابن كثير بإشباع كسرة الهاء ووصلها بالياء، وكذلك كل هاء قبلها، فإن كان قبل الهاء حرف مفتوح أو ساكن ضم الهاء، ووصلها بواو نحو:﴿فَقَدَّرَهُ هُو﴾[الفرقان:٢]﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ﴾[يونس:١٢].

والحجة له في ذلك أن الهاء حرف خفي، فقوّاه بحركته وحرف من جنس الحركة. وقرأ الباقون بإشارة إلي الضم والكسر من غير إثبات حرف بعد الهاء، والحجة لهم في ذلك: أنهم كرهوا أن يجمعوا بين حرفين ساكنين ليس بينهما حاجز إلا الهاء، وهي حرف خفي، فأسقطوه. (أي الحرف الموصول بالهاء) وبَقُّوا الهاء على حركتها، وأصل حركتها الضم، وإنما يكسر إذا جاوز بها الهاء، وربما تركت على ضمها[٣].

وقد لجأ بعض العرب إلى المخالفة للتخلص من الصوتين المكررين وثقلهما فى النطق فيخالفون بينهما تخفيفاً وتيسيراً على المتكلم، وهذا من عوامل التطور اللغوى ونتيجة مباشرة للتفاعل بين الأصوات فيأتلف بعضها ويختلف بعضها الآخر فى ألسنة الناس.

انتهى بحمد الله كتاب أصوات اللغة.

الدكتور محمود أبو المعاطى عكاشة

---

(١) التيسير في القراءات السبع، لأبي عمرو الداني ، إستانبول، ١٩٣٠م، ص١٦٤.

(٢) الحجة في القراءات السبع، دار الشروق ص ٢٦٦.

(٣) الحجة في القراءات السبع لابن خالويه ص ٧٢.

المراجع

- الإبدال والمعاقبة والنظائر ، عبد الرحمن بن إسحق الزجاجي ، دار الولاء، ط١/ ١٤١٤هـ .
- أسس علم اللغة ، ماريو باي ، ترجمة أحمد مختار عمر ، عالم الكتب ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.
- الأشباه والنظائر، جلال الدين السيوطي ، المكتبة العصرية، لبنان، ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م.
- أسباب حدوث الحروف ، أبوعلي الحسين بن سينا، تحقيق محمد حسن الطيات ، يحيي مير، مراجعة الدكتور سالم الفحام ، والأستاذ أحمد راتب النفاخ ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، دمشق ط١/ ١٩٨٣م.
- الأصوات العربية كمال بشر ، دار المعارف ١٩٨٠م.
- الأصوات اللغوية ، الدكتور إبراهيم أنيس ، عالم الكتب.
- أصوات اللغة ، الدكتور عبد الرحمن أيوب ، مطبعة الكيلاني ، ط٢/ ١٩٦٨م.
- أطلس أصوات اللغة العربية ، الدكتور وفاء البيه ، الهيئة العامة للكتاب.
- الاقتراح في أصول النحو وجدله ، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، تحقيق محمود فجال ، مطبعة الثغر ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- إملاء ما منَّ به الرحمن من وجوه الإعراب ، والقراءات في جميع القرآن ، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري ، دار الشام.
- الإيضاح في شرح المفصل ، لأبى عمرو عثمان بن عمر المعروف بابن الحاجب ، سلسلة إحياء التراث الإسلامي ، وزارة الأوقاف ، بغداد ، مطبعة العاني ١٩٨٣م.
- البيان والتبيان ، أبو عمرو عثمان بن بحر الجاحظ ، المكتبة العصرية ، لبنان ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- التبيان في إعراب القرآن ، أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري ، تحقيق علي البجاوي ، دار الجيل ، بيروت ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

- التتمة في التصريف ، محمد بن أبي الوفاء الموصلي ، القبيصي ، مطبوعات نادي مكة ط١/ ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
- التجويد والأصوات ، الدكتور إبراهيم نجا ، القاهرة ١٩٧٢م.
- تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، إبن مالك ، تحقيق محمد كامل ، دار الكاتب العربي ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.
- التصريف الملوكي ، أبو الفتح عثمان بن جني ، تحقيق البدراوي زهران ، الشركة المصرية للنشر ، لونجمان ٢٠٠١م.
- التطور اللغوي،الدكتور رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة١٤١٠هـ ١٩٩٠م.
- التمهيد في علم التجويد ، تحقيق سعيد صالح مصطفي ، دار ابن خلدون.
- الحجة في القراءات السبع للإمام ابن خالويه ، تحقيق عبد العال سالم ، دار الشروق ط٢/ ١٣٩٧هـ - ١٩٩٧م.
- الخصائص ، أبو الفتح عثمان بن جني ، تحقيق علي النجار ، الهيئة العامة للكتاب.
- دراسة الصوت اللغوي ، الدكتور أحمد مختار عمر، ١٤١١هـ - ١٩٩١م عالم الكتب.
- دروس في علم الأصوات العربية لجان كانتينو ، ترجمة صالح القرماوي ، الجامعة التونسية ١٩٦٦م.
- الدلالة اللفظية ، الدكتور محمود عكاشة مكتبة الأنجلو المصرية ٢٠٠٢م - ١٤٢٣هـ.
- الدقائق المحكمة في شرح المقدمة الجزرية ، الشيخ زين الدين أبي يحيي زكريا الأنصارى، دار الجفان، ط٢/ ١٤١٦هـ.
- سر صناعة الإعراب ، عثمان بن جني ، وزارة المعارف العمومية ، مصر ١٩٥٤م، وسر الصناعة بتحقيق حسن هنداوي ط١/ ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، دار العلم، دمشق.
- شرح المفصل ، موفق الدين ، يعيش بن علي بن يعيش ، عالم الكتب ، بيروت ، مكتبة المتنبي (د . ت).

- علم الأصوات ، برتيل مالمبرج ، ترجمة وتعليق الدكتور عبد الصبور شاهين ، مكتبة الشباب، ١٩٨٨م.
- علم الأصوات - دراسة مقارنة ، الدكتور صلاح الدين حسنين ، دار الإتحاد العربية ، ط٢/ ١٩٨٣م.
- علم الأصوات ، الدكتور كمال بشر، دار غريب ط١/ ٢٠٠٠م.
- علم اللغة العامة - مقدمة للقارئ العربي ، الدكتور محمود السعران ، دارالمعارف ، ١٩٦٢م.
- العين ، الخليل بن أحمد ، تحقيق: عبدالله درويش ، بغداد ١٩٦٧م.
- كتاب سيبويه ، عمرو بن عثمان بن قنبر ، الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٧٩م.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل ، فى وجوه التأويل، جار الله الزمخشرى ، تحقيق: يوسف الحمادى ، مكتبة مصر (جودة السحار).
- لطائف الإشارات لفنون القراءات ، شهاب الدين القسطلانى ، تحقيق: الشيخ عامر السيد عثمان ، والدكتور عبدالصبور شاهين ، القاهرة ١٩٧٢م.
- اللغة العربية معناها ومبناها ، الدكتور تمام حسان ، الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٧٩م.
- اللغة العربية ، فندرس ، ترجمة: الدواخلى ، والقصاص ، لجنة البيان العربى ، القاهرة ١٩٥٠م.
- المحتسب ، فى تبيين وجوه شواذ القراءات والايضاح عنها ، أبو الفتح عثمان بن جنى ، تحقيق ثلاث علماء ، المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
- المدخل إلى علم اللغة ، دكتور رمضان عبدالتواب ، مكتبة الخانجى ط٢ / ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- المدخل إلى علم اللغة ، دكتور محمود فهمى حجازى ، دار الثقافة ، القاهرة ١٩٧٦م.
- معرفة اللغة ، جورج يول ، ترجمة: د / محمود فراج ط١ / ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

- المقتضب ، أبوالعباس بن يزيد المبرد ، تحقيق: محمد عبدالخالق عضيمة ، المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

الدوريات

- علم الأصوات عند سيبويه وعندنا ، شادة ، صحيفة الجامعة المصرية ، السنة الثانية ١٩٣١م، العدد الخامس.
- علماء الأصوات العرب سبقوا اللغويين المحدثين فى إبتكار نظرية التماثل ، الدكتور عبدالعزيز مطر ، مجلة اللسان العربى – المغرب ، يناير ١٩٧٠م – ذو القعدة ١٣٨٩هـ م٧ ج١.
- الوحدة الأصلية بين اللغات ، مظهر لوحدة إنسانية عريقة ، عبدالعزيز بن عبدالله ، مجلة اللسان العربى ، يناير ١٩٧٠م – ١٣٨٩هـ.

obeikandl.com